سورة محمد ﷺ

تَفْسِيرٍ تَحْلِيلِيٍّ مَقَاصِدِيَ



جمع وترتيب / راجي رحمة ربه

فيصل محسن مرجان

٢٠٢٦

سورة محمد ﷺ

تَفْسِيرٍ تَحْلِيلِيٍّ مَقَاصِدِيَ

جمع وترتيب / راجي رحمة ربه
فيصل محسن مرجان
٢٠٢٦

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، الذي أنزل القرآن هدايةً للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان، وجعله نورًا يهدي به من يشاء من عباده إلى صراط مستقيم. والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، سيدنا محمد ﷺ، الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن أعظم ما يشتغل به العبد في هذه الدنيا، وأشرف ما يصرف فيه عمره، وأرجى ما يلقى به ربه يوم القيامة :**تدبر كتاب الله تعالى**؛ فهو كلامه المنزل على نبيه، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، من اعتصم به نجا، ومن أعرض عنه ضل وغوى. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. وقد أمر الله عباده بالتدبر فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، فجعل الإعراض عن التدبر علامةً على قفل القلوب، وسببًا لحرمانها من نور الوحي.

وإن من أصدق أبواب التدبر وأعظمها أثرًا في القلب :**الوقوف مع سورةٍ من سور القرآن الكريم**، تُقرأ كبناءٍ واحدٍ متكامل، لا كآياتٍ متفرقة؛ فيُتدبر مطلعها وخاتمتها، ومقصدها العام، ومحاورها الكبرى، وكيف تنتقل من معنى إلى معنى، ومن تكليف إلى جزاء. فهذا الضرب من التدبر هو الذي يُثمر اليقين، ويُصلح القلب، ويُثبّت القدم على الصراط.

وقد اخترنا لوقفتنا هذه **سورة محمد ﷺ**، وهي سورة مدنية عظيمة، نزلت في فترة عصيبة من حياة الأمة، حيث كانت المدينة مسرحًا لصراع مركّب: كفر صريح من قريش وحلفائها، ونفاق متغلغل في المجتمع المدني، ويهود يتربصون، وجهاد يُفرض على المؤمنين. جاءت هذه السورة لتضع المعادلة الحاسمة التي لا تتغير :**من كان مع الله نصره الله وثبّته وأصلح باله،**

ومن كان على الباطل خاب سعيه وضل عمله .فهي سورة تُعيد إلى القلب يقينه، وتُذكّره بأن النصر من الله، وأن الابتلاء سنته، وأن النفاق مرضٌ يُكشف، وأن البذل برهان الإيمان.

وقد سمّاها غير واحد من المفسرين **سورة القتال**، لأن القتال عنصرها البارز، لكننا في هذه الوقفة التدبرية نظرنا إليها نظرًا أشمل :**سورة التمييز والتمحيص**؛ فهي لا تعرض القتال عرضًا عسكريًّا، بل تعرضه ميزانًا يكشف حقيقة الإيمان من دعوى النفاق، ومحكًّا يفرز الصفوف، وبرهانًا على صدق الدعوى بالجهاد والمال. وهذا المعنى هو الذي يجعل السورة حيّةً في قلب كل مؤمن في كل زمان ومكان؛ فما أشبه الليلة بالبارحة! أمةٌ تواجه صراعًا مركّبًا، وعدوًّا ظاهرًا، وتخاذلًا باطنًا، وبخلًا يُثقل القلوب.

وقد سلكنا في هذه الوقفة مسلك **التدبر الإيماني التحليلي** :جمعنا بين التفسير بالمأثور عند صحته، والتحليل اللغوي والبلاغي الذي يُبرز دقائق النظم القرآني، والتحرير العقدي الذي يُثبّت أصول الاعتقاد في القلب، والدلالات التربوية والمقاصدية التي تُنزّل معاني الآيات على واقع النفس والأمة. ولم نقصد إلى حشد الأقوال والخلافات، بل إلى **الوصول إلى القلب**؛ لأن أعظم غاية التفسير أن يُحوّل معاني القرآن إلى يقينٍ يسكن القلب، وعملٍ يسير على الجوارح.

وانتظم هذا العمل في أربعة أقسام: بين يدي السورة والتعريف بها، ثم مناسبتها لما قبلها وما بعدها، ثم مقصدها العام ومحاورها الكبرى، ثم تفسيرها التفصيلي مقطعًا مقطعًا.

وما هذا العمل إلا محاولة اجتهادية ناقصة، تُقدّم للقارئ مفاتيح تدبرية، وتفتح له بابًا لمزيد من النظر والتأمل؛ فكلام الله لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد. فإن أصبنا فمن الله وحده، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، والله أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يرزقنا وإياكم تدبر كتابه، والعمل به، والوقوف عند حدوده، إنه ولي ذلك والقادر عليه. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

القسم الأول: بين يدي السورة والتعريف بها

تمهيد: قضية السورة الكبرى

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدايةً للناس، ونورًا للقلوب، وشفاءً لما في الصدور، وجعله كتابًا محكمًا تتجدد معانيه بتجدد النظر والتدبر، وتتكشف أسراره لمن أقبل عليه بعلم وإنصاف، وصلاةً وسلامًا على سيدنا محمد، الذي بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وبيّن للناس ما أنزل إليهم من ربهم. أما بعد:

سورة محمد سورة مدنية نزلت في فترة عصيبة من حياة الأمة، حيث كانت المدينة مسرحًا لصراع مركّب: كفر صريح من قريش وحلفائها، ونفاق متغلغل في المجتمع المدني، ويهود يتربصون، وجهاد يُفرض على المؤمنين. جاءت هذه السورة لتضع المعادلة الحاسمة :**من كان مع الله نصره الله وثبّت قدمه، ومن كان على الباطل خاب سعيه وضل عمله** .وهي سورة لا تتحدث عن القتال بوصفه حدثًا عارضًا، بل بوصفه ميزانًا يكشف حقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، ومحكًّا يفرز الصفوف.

١ .اسم السورة وأسماؤها الأخرى

الاسم الأول: سورة محمد .سُمّيت بهذا الاسم لورود اسم النبي ﷺ في الآية الثانية منها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. وقد ذهب جمهور المفسرين والمصنفين في علوم القرآن إلى تسميتها بهذا الاسم، وهو الاسم المثبت في المصاحف المعتمدة.

الاسم الثاني: سورة القتال .ذكره غير واحد من المفسرين، ومنهم سيد قطب الذي قال: «هذه السورة مدنية، ولها اسم آخر. اسمها سورة القتال. وهو اسم حقيقي لها. فالقتال هو موضوعها. والقتال هو العنصر البارز فيها . «ووجه التسمية أن السورة افتتحت بذكر الكافرين والصد عن سبيل الله، ثم أمرت المؤمنين بالقتال صراحة في قوله: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾، وسيقت فيها أحكام الأسرى والقتال.

دلالة التسميتين :في اجتماع الاسمين دلالة عميقة؛ فالسورة منسوبة إلى النبي ﷺ لأنه صاحب الدعوة التي تُقاتَل من أجلها، ومنسوبة إلى القتال لأنه السياق الذي تُختبر فيه

القلوب. فالتسمية الأولى تُذكّر بالمبلِّغ ﷺ، والثانية تُذكّر بالمعركة التي تُخاض لأجل ما بُلِّغ. وهما متكاملتان: لا قتال إلا لحماية الرسالة، ولا رسالة تُحمى إلا بجهد وبذل.

٢ .مكيتها ومدنيتها

السورة **مدنية** بالاتفاق المعتبر. قال الطبرسي: «سورة محمد مدنية وآياتها ثمان وثلاثون . «وقال سيد قطب: «هذه السورة مدنية . «وقال ابن عاشور في سياق تفسيرها بما يؤكد مدنيتها.

غير أن هناك قولًا يُذكر في بعض المصادر: أن آية واحدة منها نزلت في مكة أو في طريق الهجرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾، رُوي ذلك عن ابن عباس وقتادة، وأن النبي ﷺ نزلت عليه وهو يريد التوجه إلى المدينة من مكة، وجعل ينظر إلى البيت ويبكي حزنًا عليه .وهذا القول إن صح فهو استثناء جزئي لا يغيّر الحكم الكلي بمدنية السورة.

والذي يظهر :أن السورة مدنية في جملتها، والسياق الذي تنفس فيه خطابها سياق مدني بامتياز؛ فذكر المنافقين، والجهاد، وأحكام الأسرى، والإنفاق في سبيل الله، كلها قضايا مدنية لم تكن مطروحة بمثل هذا التفصيل في العهد المكي.

٣ .عدد آياتها وترتيبها

عدد آياتها **ثمان وثلاثون آية** في العد الكوفي، وهو العدد المعتمد في المصاحف المطبوعة اليوم. وقد ذكر الطبرسي خلافًا في العد: «أربعون آية بصري، ثمان وثلاثون كوفي، تسع في الباقين « ، والمراد بالكوفي العدد المعتمد في مصحف الكوفة وهو الذي جرى عليه عمل المصاحف.

وهي السورة **السابعة والأربعون** في ترتيب المصحف، وتقع في **الجزء السادس والعشرين** . وعدد كلماتها ٥٤٢ كلمة، وحروفها ٢٤٢٤ حرفًا .

٤ .ترتيب نزولها وأسباب نزولها

أما ترتيب نزولها، فقد ذُكر أنها نزلت في التسلسل الخامس والتسعين من حيث النزول . والسياق التاريخي لنزولها يرتبط بالعهد المدني، وبخاصة الفترة التي أعقبت غزوة بدر أو التي وقعت في أثنائها أو قريبًا منها. وقد ذكر بعض المفسرين أنها نزلت في بحبوحة غزوة أحد أو بعدها بقليل .

وأما أسباب النزول الخاصة، فلم يثبت في السورة سبب نزول خاص لآية معينة يصلح أن يُبنى عليه معنى قطعي، عدا ما ذُكر في آية ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ من كونها نزلت عند خروج النبي ﷺ من مكة. أما بقية الآيات فسياقاتها عامة في وصف حال الكفر والإيمان والنفاق والجهاد، ولا يُجزم بسبب نزول خاص لها إلا بدليل ثابت.

٥ .ما صح في فضلها

وردت في فضل السورة روايات متعددة، لكنها لا تخلو من كلام من جهة الأسانيد. من ذلك ما روي عن أبيّ بن كعب أن النبي ﷺ قال: «من قرأ سورة محمد كان حقًّا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة . «وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح، وقد جرت عادة المفسرين على ذكرها في فضائل السور مع التنبيه على أن ما صح في فضل القرآن عامًّا يغني عن الاعتماد على أسانيدها الضعيفة.

والذي ينبغي التوقف عنده: أن فضل السورة الحقيقي يظهر في مضمونها وهدايتها، لا في رواية مفردة قد لا تثبت. فمن تدبر ما فيها من بيان حال المؤمنين والكافرين، وأحكام الجهاد، وكشف النفاق، فقد حصّل من فضلها أعظم مما تحصله رواية في ثواب قارئها.

٦ .مقصدها العام ومحاورها الكبرى

المقصد العام للسورة هو :إقامة الميزان الإلهي الذي يفرّق بين الحق والباطل، ويُظهر حقيقة كل فريق في الدنيا والآخرة، ويُلزم المؤمنين ببذل الجهد في نصرة الدين، ويكشف زيف من يزعم الإيمان وهو يضمر العداوة.

وهذا المقصد ينتظم السورة من أولها إلى آخرها؛ فهي تبدأ بتقرير أن الله أضل أعمال الكافرين وكفّر سيئات المؤمنين وأصلح بالهم، ثم تأمر بالقتال، ثم تصف الجنة والنار، ثم تكشف المنافقين، ثم تختم بالحث على الإنفاق وعدم البخل. وكل ذلك يصب في هذا الميزان :**من كان مع الحق نصره الله، ومن كان مع الباطل خذله وضل عمله.**

محاور السورة الكبرى:

المحور الأول: مقابلة الإيمان بالكفر (الآيات ١-٣) .تبدأ السورة بإعلان النتيجة قبل التفصيل: الكافرون أضل الله أعمالهم، والمؤمنون كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم. والسبب في ذلك: أن أولئك اتبعوا الباطل، وهؤلاء اتبعوا الحق من ربهم.

المحور الثاني: الجهاد وأحكامه (الآيات ٤-٦) .الأمر بضرب الرقاب، والإثخان، وشد الوثاق، والمنّ أو الفداء، وبيان أن الله لو شاء لانتصر منهم، لكنه شرع الجهاد ليبلو بعضهم ببعض.

المحور الثالث: نصر الله وخذلان الكافرين (الآيات ٧-١١) .وعد بالنصر لمن ينصر الله، وتثبيت الأقدام، وتَعْس الكافرين، وبيان أن الله مولى المؤمنين وأن الكافرين لا مولى لهم.

المحور الرابع: مقارنة بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة (الآيات ١٢-١٥) .الكافرون يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام، والمؤمنون في جنات تجري من تحتها الأنهار، فيها أنهار الماء غير الآسن واللبن والخمر والعسل.

المحور الخامس: كشف المنافقين ومواقفهم (الآيات ١٦-٢٨) .المنافقون يستمعون ثم يقولون: ماذا قال آنفًا؟ ويقولون: لولا نزلت سورة، فإذا نزلت سورة محكمة وذُكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت.

المحور السادس: الابتلاء والتمحيص (الآيات ٢٩-٣١) .ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم، ولتعرفنهم في لحن القول، ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين.

المحور السابع: الإنفاق والبخل (الآيات ٣٢-٣٨) .الحث على الإنفاق، والتحذير من البخل، وبيان أن الله غني وأنكم الفقراء، وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.

٧ .الحركة الموضوعية للسورة

يمكن تصور حركة السورة على النحو الآتي:

تبدأ **بإعلان الحكم الإلهي** على الفريقين (آيات ١-٣)، ثم تنتقل إلى **الترجمة العملية لهذا الحكم** في ساحة المعركة (آيات ٤-٦)، ثم **تؤسس للثقة في نصر الله** (آيات ٧-١١)، ثم **تعقد مقارنة حسية بين مصير الفريقين** (آيات ١٢-١٥)، ثم **تكشف العدو الداخلي** الذي يتربص

(آيات ١٦-٢٨)، ثم **تعلن سنة الابتلاء** التي تميز الصادق من الكاذب (آيات ٢٩-٣١)، ثم **تختم بدعوة المؤمنين إلى البذل** وعدم البخل (آيات ٣٢-٣٨).

وهذه الحركة ليست انتقالًا عشوائيًّا، بل هي تدرج من **التقرير** إلى **التكليف**، ومن **العموم** إلى **الخصوص**، ومن **الخارج** إلى **الداخل**؛ فبعد أن تقرر السورة حقيقة الصراع بين الإيمان والكفر، وتأمر بمواجهة العدو الخارجي، تنتقل إلى مواجهة العدو الداخلي (المنافقين)، ثم تضع المؤمنين أمام مسؤوليتهم المالية (الإنفاق) التي هي عصب الجهاد.

القسم الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

أولًا: مناسبة السورة لما قبلها (سورة الأحقاف) هي السورة السابقة لسورة محمد في ترتيب المصحف. وهي سورة مكية في جملتها، تعالج قضية الوحي والرسالة، وتذكر قصة عاد وثمود، وتختم ببيان أن الله خلق السماوات والأرض بالحق، وأنه لم يخلق ذلك عبثًا.

والمناسبة بين السورتين تظهر في عدة وجوه:

١ .**الاتصال في موضوع الرسالة والرسول** .سورة الأحقاف تختم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾، وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. ثم تأتي سورة محمد فتبدأ بذكر الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، فكأنها امتداد لبيان مآل من أعرض عن الرسالة.

٢ .**الاتصال في بيان سنة الابتلاء** .سورة الأحقاف ذكرت قوم عاد وقد كانوا أشد قوة، فأهلكهم الله. وسورة محمد تقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾. فالسورتان تشتركان في دعوة المكذبين إلى الاعتبار بمصير الأمم الخالية.

٣ .**الاتصال في مقابلة الإيمان بالكفر** .سورة الأحقاف ذكرت أن الذين كفروا يقولون عن القرآن: ﴿هَـٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾، وسورة محمد تبدأ بتقرير أن الذين كفروا اتبعوا الباطل. فالسورتان تعرضان موقف المكذبين من الوحي، ثم تبينان عاقبة ذلك.

ثانيًا: مناسبة السورة لما بعدها (سورة الفتح)

سورة الفتح هي السورة التالية لسورة محمد في ترتيب المصحف. وهي مدنية أيضًا، تتحدث عن صلح الحديبية وما نجم عنه من فتح مبين، وتذكر بيعة الرضوان، وصفات المؤمنين مع النبي ﷺ.

والمناسبة بين السورتين من أوجه:

١ .**الاتصال في موضوع الجهاد** .سورة محمد تأمر بالقتال وتبين أحكامه، وسورة الفتح تبين ما آل إليه أمر الجهاد من فتح ونصر بعد الصلح. فبينهما اتصال في الموضوع، وانتقال من **التشريع** إلى **الثمرة**.

٢ .**الاتصال في كشف المنافقين** .سورة محمد تكشف المنافقين الذين في قلوبهم مرض، وسورة الفتح تذكر الذين ظنوا أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم، والذين كرهوا ما نزل الله. فالسورتان متكاملتان في بيان موقف المنافقين من الجهاد.

٣ .**الاتصال في جزاء الصادقين والكاذبين** .سورة محمد تذكر أن الله يبتلي المؤمنين حتى يعلم المجاهدين منهم والصابرين. وسورة الفتح تذكر أن الذين بايعوا تحت الشجرة قد رضي الله عنهم وعلم ما في قلوبهم. فبينهما اتصال في بيان نتيجة الابتلاء.

٤ .**التكامل في عرض الحجة القرآنية** .سورة محمد تضع المعيار: من ينصر الله ينصره الله. وسورة الفتح تعرض النموذج العملي: كيف نصر الله الذين نصروه، وفتح لهم فتحًا مبينًا. فالسورتان معًا تُقرران حقيقة واحدة بأسلوبين :**التقرير النظري** في سورة محمد، و**الشاهد التاريخي** في سورة الفتح.

ضابط مهم :ليست هذه المناسبات افتراضًا لمجرد التجاور في المصحف، بل هي مستخرجة من اتصال الموضوعات وتكامل الحجج. ومع ذلك، فإن ترتيب المصحف ليس بالضرورة ترتيب النزول، فلا يُبنى على هذه المناسبات حكم تاريخي، وإنما تُفهم في إطار **التكامل البياني** بين السور في المصحف.

القسم الثالث: المقصد العام والمحاور الكبرى

المقصد العام: صياغة المقصد العام الجامعة :**إظهار سنة الله في نصر الحق وخذلان الباطل، وتمييز حقيقة الإيمان من دعوى النفاق، وبيان أن الجهاد هو المحك الذي تُختبر به القلوب، وأن الإنفاق هو البرهان على صدق الدعوى.**

وهذه الصياغة تستخرج من السورة نفسها، لا تُفرض عليها. فالسورة تبدأ بحكم الله على الفريقين، وتنتهي بدعوة إلى الإنفاق والتحذير من التولي. وبين المطلع والخاتمة تدور السورة على هذه المعاني: الجهاد والابتلاء وكشف النفاق.

المحاور الكبرى وتفصيلها

المحور الأول: مقابلة الإيمان بالكفر، وأثر ذلك في الأعمال (الآيات ١-٣)

نطاق الآيات :من قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾.

وظيفة المحور في بناء السورة :هذا المحور هو **الأساس الذي تُبنى عليه السورة** .ففيه يُقرر مبدأ التمايز بين الفريقين: الكافرون أضل الله أعمالهم، والمؤمنون كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم. وهذا التقرير هو الذي يُعطي معنى لكل ما يأتي بعده من أمر بالجهاد ووعيد للكافرين ووعد للمؤمنين. فلو لم يُقرر أولًا أن الله هو الذي يُضل أعمال الكافرين ويُصلح بال المؤمنين، لكان الجهاد مجرد صراع بشري لا غاية له.

علاقته بالمقصد العام :يخدم المقصد العام مباشرة؛ لأنه يؤسس لحقيقة أن **الله هو الفاعل الحقيقي في الصراع**، وأن النصر والخذلان بيده.

الانتقال منه :ينتقل السياق من هذا التقرير النظري إلى **التكليف العملي** بالجهاد في الآية ٤.

المحور الثاني: الجهاد وأحكامه (الآيات ٤-٦)

نطاق الآيات :﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ إلى ﴿وَيُصْلِحْ بَالَهُمْ﴾.

وظيفة المحور :هذا هو **المحور التشريعي** في السورة. فبعد أن قرر أن الكافرين أضل الله أعمالهم، أمر المؤمنين بأن يكونوا أداة تنفيذ هذا الحكم الإلهي. وقد تضمن المحور أحكامًا عملية: ضرب

الرقاب، الإثخان، شد الوثاق، المن أو الفداء، وبيان الحكمة في شرع القتال: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾.

علاقته بالمقصد العام :يمثل **الترجمة العملية** للمقصد؛ فالمقصد ليس نظريًّا، بل يقتضي من المؤمنين بذلًا فعليًّا.

الانتقال منه :ينتقل إلى **تثبيت قلوب المؤمنين** بوعد النصر، بعد أن أمرهم بما يشق عليهم.

المحور الثالث: وعد النصر وخذلان الكافرين (الآيات ٧-١١)

نطاق الآيات :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ إلى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

وظيفة المحور :**التشجيع والتحفيز** .فبعد التكليف الشاق بالقتال، تأتي الآيات لتُذكّر المؤمنين بأن النصر مضمون لمن ينصر الله، وأن الكافرين مهما كانت قوتهم فإن مصيرهم إلى دمدمة وخذلان. وفيه دعوة إلى السير في الأرض والاعتبار بمصير الأمم السابقة.

علاقته بالمقصد العام :يعمّق المقصد بإضافة **البعد التاريخي**؛ فالله لم يخذل الكافرين في هذه الأمة فقط، بل خذل من كان قبلهم. وهذا يُثبّت المؤمنين.

الانتقال منه :ينتقل إلى **مقارنة حسية** بين متاع الفريقين في الدنيا والآخرة.

المحور الرابع: مقارنة بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة (الآيات ١٢-١٥)

نطاق الآيات :﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾ إلى ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

وظيفة المحور :**تجسيد الفرق** بين الفريقين في صور محسوسة. فالمؤمنون في جنات فيها أنهار من ماء غير آسن، ولبن لم يتغير طعمه، وخمر لذة للشاربين، وعسل مصفى. والكافرون يتمتعون في الدنيا كالأنعام، ثم يُسقون ماءً حميمًا يقطّع أمعاءهم. وهذا المحور يُعطي **بُعدًا وجدانيًّا** للصراع: ليس الأمر مجرد معركة عسكرية، بل هو صراع على مصير أبدي.

علاقته بالمقصد العام :يُعمّق المقصد بإضافة **البعد الأخروي**؛ فالميزان ليس في الدنيا فقط، بل يمتد إلى الآخرة.

الانتقال منه :ينتقل من المقارنة العامة إلى **فريق ثالث** كان مستترًا في المدينة: المنافقون.

المحور الخامس: كشف المنافقين (الآيات ١٦-٢٨)

نطاق الآيات :﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إلى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

وظيفة المحور :هذا هو **المحور الأطول** في السورة، وفيه كشفٌ تفصيلي لمواقف المنافقين: استماعهم دون فهم، قولهم «ماذا قال آنفًا»، ثاقلهم عن القتال، نظرهم إلى النبي ﷺ نظر المغشي عليه من الموت، تولّيهم وإفسادهم في الأرض، ارتدادهم على أدبارهم، إسرارهم بالطاعة للذين كرهوا ما نزل الله. وهذا الكشف الطويل يُبيّن أن **العدو الداخلي أخطر من العدو الخارجي**، وأن النفاق هو الوجه الآخر للكفر.

علاقته بالمقصد العام :يخدم المقصد في شقه الثاني :**تمييز حقيقة الإيمان من دعوى النفاق** . فالسورة لا تكتفي بمواجهة الكفر الظاهر، بل تكشف الزيف المستتر.

الانتقال منه :ينتقل إلى **سنة الابتلاء** التي تميز الصادق من الكاذب.

المحور السادس: سنة الابتلاء والتمحيص (الآيات ٢٩-٣١)

نطاق الآيات :﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ إلى ﴿وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾.

وظيفة المحور :**التأصيل الإلهي** لما يجري. فالابتلاء ليس عبثًا، بل هو سنة إلهية لتمييز المجاهدين من غيرهم، والصابرين من غيرهم. وفيه وعيد للمنافقين بأن الله سيُخرج أضغانهم، ووعد للمؤمنين بأن الله يعلم أعمالهم.

علاقته بالمقصد العام :يُقرر أن **التمييز سنة إلهية**، وأن ما يحدث من قتال وابتلاء ليس شرًّا محضًا، بل هو وسيلة لكشف الحقائق.

الانتقال منه :ينتقل إلى **التكليف المالي** الذي هو البرهان العملي على صدق الإيمان.

المحور السابع: الإنفاق والبخل (الآيات ٣٢-٣٨)

نطاق الآيات :﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ إلى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ غَيْرِكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾.

وظيفة المحور :**الخاتمة العملية** للسورة. بعد كل ما سبق من بيان حال الكافرين والمنافقين، تأتي الآيات لتضع المؤمنين أمام مسؤوليتهم: أنفقوا، ولا تبخلوا. وفيها تحذير شديد: ﴿هَا أَنتُمْ هَـٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾، ثم التهديد: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾.

علاقته بالمقصد العام :يُكمل المقصد بإضافة **البرهان المالي**؛ فالجهاد يحتاج نفقة، والإيمان الصادق يقتضي بذلًا. ومن بخل فقد كشف عن ضعف يقينه.

الانتقال منه :تنتهي السورة بهذا التهديد الجامع، لتترك في النفس أثرًا لا يُمحى.

تفسير السورة

القسم الرابع: المعنى الإجمالي للسورة

قبل الدخول في التفسير التفصيلي، لا بد من رسم خريطة كلية للسورة تُعين على متابعة اتصال معانيها. سورة محمد ﷺ سورة مدنية، تتنزل في فترة اشتداد الصراع بين الإسلام والكفر، وقد جاءت لتعالج قضية مركزية واحدة هي :**كيف يواجه المؤمنون واقع الصراع مع الكفر والنفاق، وكيف يتبين الصادق من الكاذب في ساحة الابتلاء.**

تبدأ السورة بمقابلة صريحة بين فريقين: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ١-٢]. هذا الافتتاح يضع القاعدة الحاكمة على السورة كلها :**الله هو الذي يُضل أعمال الكافرين، وهو الذي يُكفّر سيئات المؤمنين ويُصلح بالهم** . ثم تُعلَّل هذه المقابلة في الآية الثالثة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ٣]. فالفرق ليس في الأعمال الظاهرة فقط، بل في الأصل الذي تتبعه القلوب: الباطل أم الحق.

ثم ينتقل السياق من التقرير إلى التكليف. فبعد أن بيّن الله مآل الفريقين، أمر المؤمنين بأن يكونوا أداة تنفيذ هذا الحكم في الأرض: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]. وهذه الآية لا تُفهم بمعزل عن التي قبلها؛ فالله الذي أضل أعمال الكافرين هو الذي يأمر بقتالهم، ولو شاء لانتصر منهم بغير قتال، لكنه شرع الجهاد: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]. فالجهاد إذن **وسيلة ابتلاء**، لا مجرد حدث عسكري. وبعد التكليف الشاق، تأتي آيات التثبيت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]. والوعد بالنصر مقرون بشرط: أن تنصروا الله. ثم تُعرض المقارنة الحسية بين الفريقين: جنات تجري من تحتها الأنهار للمؤمنين، وماء حميم يقطّع أمعاء الكافرين [محمد: ١٥]. وهذه المقارنة ليست استطرادًا، بل هي تجسيد للميزان الذي أُعلن في أول السورة: من اتبع الحق فمآله النعيم، ومن اتبع الباطل فمآله العذاب.

ثم ينتقل السياق إلى العدو المستتر: المنافقون. وهنا يطول النفس القرآني في كشف مواقفهم: استماعهم دون فهم، قولهم «ماذا قال آنفًا»، ثاقلهم عن القتال، نظرهم إلى النبي ﷺ نظر المغشي عليه من الموت [محمد: ١٦-٢٠]. وهؤلاء هم الذين ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]. فالسورة لا تكتفي بمواجهة الكفر الظاهر، بل تكشف الزيف الذي يسكن داخل الصف.

ثم تُعلن السورة سنة الابتلاء التي تفسر كل ما يجري: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. فما يحدث من قتال وتمحيص ليس شرًّا محضًا، بل هو وسيلة الله لتمييز الصادق من الكاذب. وتختم السورة بدعوة إلى الإنفاق، وتهديد صريح: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

وهكذا تنتظم السورة من مطلعها إلى خاتمتها في بناء واحد :**تقرير الميزان، ثم تكليف المؤمنين بالجهاد، ثم تثبيتهم بوعد النصر، ثم كشف المنافقين، ثم إعلان سنة الابتلاء، ثم المطالبة بالبذل المالي** .وكلها تصب في مقصد واحد: أن يعرف المؤمنون موقعهم في الصراع، وأن يخلصوا لله فيه، وأن لا يغتروا بدعوى الإيمان من غير عمل.

التفسير التفصيلي للسورة

المقطع الأول: الافتتاح بالميزان الإلهي بين الفريقين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾﴾

المعنى والسياق

يقول تعالى في مفتتح هذه السورة المدنية: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾. والآية تُقرر حكمًا إلهيًّا على فريقين قبل أن تذكر تفصيل أعمالهم. فـ«الذين كفروا» جحدوا توحيد الله وعبدوا غيره، و«صدّوا عن سبيل الله» منعوا الناس عن الدخول في الإسلام .وقد ذكر ابن عطية أن «صدّوا» يحتمل أن يكون فعلًا متعديًا بمعنى صدّوا غيرهم، ويحتمل أن يكون لازمًا بمعنى صدّوا أنفسهم .وكلا المعنيين صحيح؛ فالكافرون جمعوا بين الصد عن أنفسهم وعن غيرهم.

وقوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي أبطلها وأتلفها، ولم يجعل لها غاية خير ولا نفعًا .وفي هذا إشارة إلى أن أعمال الكافرين — وإن كانت في ظاهرها أعمالًا — قد فقدت أثرها عند الله بسبب أصلها الفاسد. ثم يقابل هذا الحكم بحكم آخر: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.

والآية تُعدد أوصاف المؤمنين: الإيمان، والعمل الصالح، والإيمان بما نزل على محمد ﷺ. وقد ذكر بعض المفسرين أن الآية الأولى نزلت في أهل مكة، والثانية في الأنصار أهل المدينة . ثم هي بعد ذلك عامة في كل من دخل تحت ألفاظها .وهذا التخصيص في سبب النزول لا يُقيّد عموم اللفظ، بل يبين أول من دخل تحت الحكم.

وقوله: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قال قتادة: أصلح حالهم. وقال مجاهد: شأنهم. وحرر ابن عطية أن «البال» بمعنى الفكر والموضع الذي فيه نظر الإنسان وهو القلب، فإذا صلح ذلك صلحت

حاله .وفي هذا دلالة لطيفة: أن إصلاح الله لبال المؤمنين ليس مجرد تحسين ظاهر، بل هو إصلاح لأصل التفكير والنية، ومنه ينبع صلاح الحال كله.

ثم تُعلَّل هذه المقابلة في الآية الثالثة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. فالفارق الجوهري ليس في وفرة الأعمال أو قلتها، بل في **المرجع الذي تتبعه القلوب** .أولئك اتبعوا الباطل، وهؤلاء اتبعوا الحق من ربهم. ثم ختمت الآية: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾، أي أن هذا التمييز بين الفريقين هو ضرب من الأمثال التي يضربها الله للناس ليعتبروا.

التحليل اللغوي والنحوي

في قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مبتدأ، وجملة ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ خبر. وفي تقديم «الذين كفروا» على الفعل إشعار بأن الحكم عليهم جاء بعد وصفهم بالكفر والصد، لا لمجرد الكفر وحده. وفي عطف ﴿وَصَدُّوا﴾ على ﴿كَفَرُوا﴾ دلالة على أن الصد عن سبيل الله عمل مستقل يستحق العقوبة، لا مجرد نتيجة تابعة للكفر.

وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ عطف للثاني على الأول، وفيه مقابلة تامة بين الفريقين: كفر يقابله إيمان، وصد يقابله عمل صالح. ثم خصّ الإيمان بما نزل على محمد ﷺ بالذكر مع دخوله في مسمى الإيمان، وذلك لتأكيد أن الإيمان لا يصح إلا بالإيمان بالرسالة المحمدية، لا ببعض ما أنزل الله دون بعض.

وفي قوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ جملة حالية أو معترضة، وفيها توكيد بأن ما نزل على محمد ﷺ هو الحق الثابت الذي لا يأتيه الباطل. وفي إضافة «الرب» إلى المؤمنين بقوله: ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾ إشارة إلى أن هذا الحق ليس مجرد خبر يُصدَّق، بل هو عطاء من الرب الكريم لعباده المؤمنين.

التحليل البلاغي

في مقابلة ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ بـ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ بلاغة عالية. فالأولى إضلال وإبطال، والثانية تكفير وإصلاح. وفي الجمع بين «كفّر» و«أصلح» دلالة على أن الله

لا يكتفي بمحو السيئات، بل يضيف إليها إصلاح الحال. وهذا من باب مقابلة الإحسان بالإحسان، والتفضل على المؤمنين بما لم يستحقوه.

وفي قوله: ﴿اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ و﴿اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ تمثيل للحالين بالطريقين: طريق الباطل الذي يؤدي إلى الضلال، وطريق الحق الذي يؤدي إلى الهدى. وفي لفظ «اتبعوا» إشارة إلى أن الأمر ليس مجرد اعتقاد ذهني، بل هو **سلوك وانقياد** .فالباطل يُتبع كما يُتبع الطريق، والحق كذلك.

وفي قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ تشبيه للأمر المذكور بالمثل الذي يُضرب للاعتبار. فالله لم يذكر هذه المقابلة لمجرد الإخبار، بل لتكون مثلًا يُقاس عليه كل من سلك طريق الكفر أو طريق الإيمان.

التفسير بالمأثور

لم يثبت في هذا المقطع حديث نبوي صحيح يخصصه، وإنما وردت آثار عن الصحابة والتابعين في تعيين المراد بالفريقين. فقد روي عن ابن عباس ومجاهد أن الآية الأولى في أهل مكة الذين أخرجوا الرسول ﷺ، والثانية في الأنصار الذين آووه .وهذا التفسير لا يخرج عن عموم اللفظ، بل يبين أول من دخل تحته.

التحرير العقدي

في الآية تقرير لعقيدة أن **الأعمال لا تُقبل إلا مع الإيمان الصحيح** .فأعمال الكافرين — وإن كانت في ظاهرها خيرًا — قد أُضلت وأُبطلت بسبب فقدانها الأصل الذي تُبنى عليه. وفي هذا رد على من يزعم أن مجرد العمل الصالح ينفع صاحبه ولو لم يؤمن. كما أن في الآية تقريرًا لأن **الإيمان بما نزل على محمد ﷺ شرط في صحة الإيمان**، فلا يصح إيمان من آمن بالله وكفر برسوله.

الدلالات النفسية والتربوية

في افتتاح السورة بهذه المقابلة الحادة أثر نفسي بالغ. فالسامع يجد نفسه أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن يكون مع الذين اتبعوا الحق فيُكفّر الله سيئاته ويُصلح باله، وإما أن يكون مع الذين اتبعوا الباطل فيُضل الله عمله. وهذا الافتتاح يضع القارئ أمام مسؤوليته من أول

السورة، ولا يتركه في منطقة رمادية. وفي قوله: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ بشارة عظيمة؛ فالله لا يطلب من المؤمن أن يُصلح نفسه بقوته وحدها، بل هو سبحانه يتولى إصلاح باله إذا صدق في إيمانه.

الدلالات النظمية والمقاصدية

هذا المقطع هو **الأساس الذي تُبنى عليه السورة** .فكل ما يأتي بعده من أمر بالجهاد، ووعيد للكافرين، وكشف للمنافقين، إنما يقوم على هذه القاعدة: أن الله هو الذي يُضل أعمال الكافرين ويُصلح بال المؤمنين. ولذلك جاء المقطع الأول **خاليًا من الأمر بالقتال**؛ لأن التقرير العقدي يجب أن يسبق التكليف العملي. فالمؤمن لا يقاتل لأن القتال غاية، بل لأنه يتحقق به الحكم الإلهي في إضلال أعمال الكافرين ونصرة دينه. وهذا الترتيب في غاية الحكمة: الإيمان أولًا، ثم التكليف تابعًا له.

المقطع الثاني: الجهاد وابتلاء المؤمنين بالكافرين

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

المعنى والسياق

بعد أن قرر الله في المقطع الأول مآل الفريقين، انتقل إلى التكليف العملي: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾. والفاء للتفريع على ما سبق؛ فبعد أن بيّن أن الكافرين أضل الله أعمالهم، أمر المؤمنين بأن يواجهوهم بالقتال. وقوله: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ مصدر نائب عن الفعل، أي «فاضربوا الرقاب»، وهو أبلغ من صيغة الأمر المباشر؛ لأنه يُصور المعنى تصويرًا حسيًّا حاضرًا.

ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾. والإثخان هو المبالغة في القتل والجرح حتى تضعف قوة العدو .فإذا حصلت الغلبة، شُدّ الوثاق، أي أُوثق الأسرى. ثم قال: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾، أي أن الإمام بعد الأسر مخير بين المن على الأسير بلا عوض، أو المفاداة به. وقد ذكر القرطبي أن الإمام مخير في ثلاثة: المن، أو الفداء، أو الاسترقاق، وأن هذا مذهب مالك والشافعي والثوري والأوزاعي وغيرهم .والآية محكمة عند جمهور العلماء، لم تُنسخ، لأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين فعلوا كل ذلك .

وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي حتى تنتهي الحرب وتضع أثقالها. وقد اختلف المفسرون في الغاية: فقال قتادة: حتى يسلم الجميع. وقال مجاهد: حتى ينزل عيسى ابن مريم. وقال ابن عطية: «وظاهر الآية أنها استعارة يُراد لها التزام الأمر أبدًا . «أي أن المعنى: استمروا على الجهاد ما دام بينكم وبين الكفار حرب.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾. أي: الأمر ذلك، ولو شاء الله لانتصر من الكافرين بعذاب من عنده يهلكهم به، ولكنه أراد ابتلاء المؤمنين: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم

بِبَعْضٍ﴾. وهذا هو **مفتاح فهم الآية كلها** :القتال ليس لأن الله محتاج إلى نصر المؤمنين، بل لأنه يبتليهم به؛ فمن قاتل وصبر كان من الفائزين، ومن تولى كان من الخاسرين.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾. وفي هذا مقابلة لما سبق من إضلال أعمال الكافرين؛ فالشهداء لا تُضل أعمالهم، بل تُحفظ وتُنمى. ثم بيّن جزاءهم: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾. و«عرفها لهم» أي بيّنها وأظهرها حتى يعرفوها عند دخولها.

التحليل اللغوي والنحوي

في قوله: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ نصب على المصدر في موضع الأمر، والتقدير: فاضربوا الرقاب ضربًا. وفي إضافة «ضرب» إلى «الرقاب» تخصيص للمضروب، وفيه إشارة إلى أن القتل يكون بضرب الرقاب، وهو أسرع وأحسم.

وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ «حتى» غاية لما قبلها، و«إذا» ظرفية شرطية. وجواب الشرط محذوف دل عليه «فشدوا الوثاق». والتقدير: حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق.

وفي قوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ «إما» للتفصيل، و«منًّا» و«فداءً» بدل من فعل محذوف، أي: فإما تمنون منًّا، وإما تفادون فداءً. و«بعد» ظرف مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة، أي بعد الإثخان والأسر.

وفي قوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قرأ الجمهور «قُتِلُوا» بضم القاف وكسر التاء، وقرأ عاصم في رواية «قَتَلُوا» بفتح القاف والتاء .والقراءة الأولى أعم وأوضح معنى؛ لأنها تشمل من قُتل في سبيل الله سواء قتله العدو أو مات في المعركة. وقراءة «قاتلوا» تفيد أنهم قاتلوا فقُتلوا.

التحليل البلاغي

في قوله: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ تصوير حسي مباشر، فيه شدة وحسم، يناسب مقام الأمر بالقتال. ثم ينتقل السياق إلى ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾، وهو تصوير آخر للأسر وتقييد الأسير. ثم يأتي التخيير: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾، وفيه بيان أن الحرب ليست قتلًا مطلقًا، بل لها أحكام وضوابط.

وفي قوله: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ استدراك عظيم؛ فبعد أن أمر بالقتال، بيّن أن الله غني عن نصرهم، وأن القتال إنما هو ابتلاء للمؤمنين. وفي هذا رفع لتوهم أن الله يحتاج إلى عباده، وتقرير لأن الجهاد عبادة يتقرب بها المؤمن إلى ربه، لا خدمة يقدمها لله.

وفي قوله: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ بلاغة في وصف الجنة؛ فالله لا يدخلهم جنته على غير معرفة، بل يعرّفهم إياها حتى يدخلوها وهم يعرفون منازلهم فيها. وفي هذا من الكرامة ما لا يخفى.

التفسير بالمأثور والتحرير الفقهي

هذا المقطع هو أصل في أحكام الأسرى والجهاد. وقد ذكر القرطبي خلاف العلماء في الإمام إذا أسر مشركًا: فذهب جمهور العلماء إلى أنه مخير بين المن والفداء والاسترقاق والقتل، وقال الحسن وعطاء: ليس للإمام أن يقتل الأسير، بل يمن أو يفادي أو يسترق. وقال سعيد بن جبير: لا يكون فداء ولا أسر إلا بعد الإثخان .والراجح ما ذهب إليه الجمهور؛ لأن النبي ﷺ فعل كل ذلك، ولأن الآية لم تقيد التخيير بغير القتل، بل ذكرت المن والفداء بعد شد الوثاق، وترك القتل مفهومًا من عموم الأمر بضرب الرقاب.

وأما قوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾، فقد حمله بعضهم على النسخ، وقالوا: نسختها آية السيف ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. ولكن الذي يظهر أن الآية محكمة، وأن «وضع الأوزار» غاية لا تُنافي التخيير في الأسرى؛ لأن الحرب قد تضع أوزارها في حق قوم دون قوم، والإمام ينظر في كل حال بحسب المصلحة.

الدلالات النفسية والتربوية

في الأمر بضرب الرقاب شدة ظاهرة، لكنها شدة لها غاية: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾. فالقصد ليس القتل لذاته، بل رفع العدوان وإزالة الفتنة. وفي قوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ تربية للنفس على أن الجهاد ليس انتقامًا شخصيًّا، بل ابتلاء من الله. ومن هنا يجب أن يكون القتال خاليًا من الغل والحقد الشخصي، خالصًا لوجه الله. وفي جزاء الشهداء ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ بشارة ترفع عن القلب ثقل الفقد والقتل؛ فمن قُتل في سبيل الله لم يخسر شيئًا، بل فاز بالهداية وإصلاح البال ودخول الجنة.

الدلالات النظمية والمقاصدية

هذا المقطع هو **الترجمة العملية للمقصد** الذي أُعلن في المقطع الأول. فبعد أن قرر الله أن الكافرين أضل أعمالهم، أمر المؤمنين بأن يكونوا أداة تنفيذ هذا الحكم. والانتقال من التقرير إلى التكليف انتقال طبيعي في سياق السورة؛ فالإيمان ليس اعتقادًا مجردًا، بل يقتضي عملًا. وفي الآية أيضًا تمهيد لما سيأتي من كشف المنافقين؛ لأن الذين سيتثاقلون عن القتال هم الذين في قلوبهم مرض، كما سيصرح السياق بعد ذلك.

المقطع الثالث: وعد النصر وخذلان الكافرين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١﴾

المعنى والسياق

بعد الأمر بالقتال وما فيه من مشقة، جاءت آيات التثبيت. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾. ونصرة الله هي نصرة دينه ورسوله، والقيام بما أوجب الله من الجهاد والطاعة. والجزاء من جنس العمل: إن تنصروا الله ينصركم. وفي قوله: ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ إشارة إلى الثبات في المعركة، وهو من أهم أسباب النصر؛ فكثير من المعارك تُحسم بالثبات لا بالكثرة.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾. والتعس هو الهلاك والعثور، وقيل: أن يخرّ على وجهه .وفي هذا دعاء عليهم بالهلاك، وإخبار بأن الله أضل أعمالهم. ثم علل ذلك: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾. فسبب خذلانهم ليس مجرد الكفر، بل **كراهية ما أنزل الله**؛ فهم لم يكفروا جهلًا فقط، بل كرهوا الحق بعد معرفته.

ثم قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾. وهذه دعوة إلى الاعتبار بمصير الأمم السابقة التي كذبت رسلها. ثم قال: ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي أهلكهم واستأصلهم. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ أي لمثل هذه العاقبة تنتظر كفار قريش وغيرهم.

ثم ختم المقطع: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾. وهذه هي **الخلاصة العقدية** للمقطع كله: المؤمنون لهم مولى يتولاهم وينصرهم، والكافرون لا مولى لهم. فمن كان له مولى قوي لا يُغلب، ومن لا مولى له فلا ناصر له.

التحليل البلاغي والنحوي

في قوله: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ إسناد النصرة إلى الله، والمقصود نصرة دينه. وفي هذا تشريف للمؤمنين بأن جعل عملهم نصرة له سبحانه، وهو الغني عنهم. وفي الجواب ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ إطلاق النصر ليشمل كل صور التأييد.

وفي قوله: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ نصب على المصدر الدال على الدعاء، وهو أبلغ من الإخبار المجرد؛ لأنه يجعل الدعاء عليهم كأنه واقع لا محالة. وقد قال ابن السكيت: «التعس أن يخرّ على وجهه، والنكس أن يخرّ على رأسه. «

وفي قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ الضمير في «أمثالها» يعود على «العاقبة» المذكورة، أي مثل عاقبة الذين من قبلهم. وفي هذا تهديد صريح بأن ما جرى على الأمم السابقة سيجري على هؤلاء.

وفي قوله: ﴿وَالْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ نفي الجنس لتأكيد انعدام المولى. وفي مقابله إثبات المولى للمؤمنين بـ﴿اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وفي هذا من التفضيل ما لا يخفى.

التحرير العقدي

في هذا المقطع تقرير لعقيدة **الولاية والنصرة** .فالله مولى المؤمنين، يتولاهم في الدنيا والآخرة. والكافرون لا مولى لهم؛ لأنهم قطعوا الصلة التي تربطهم بالله، فلم يبق لهم من يتولاهم. وفي هذا رد على من يظن أن للكافرين أولياء من دون الله ينصرونهم، كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. ولكن أولياء الطاغوت لا يُغنون عنهم شيئًا.

الدلالات النفسية والتربوية

في قوله: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ قاعدة تربوية عظيمة :**الجزاء من جنس العمل** .فمن نصر الله في نفسه بترك المعاصي، وفي ماله بالإنفاق، وفي وقته بالدعوة، نصرَه الله في مواجهة أعدائه. وفي قوله: ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ بشارة بأن النصر ليس مجرد غلبة عسكرية، بل ثبات نفسي وعقيدي. وفي قوله: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ تطمين للمؤمنين بأن الله لم يترك أعداءهم بلا جزاء، وإن تأخر الجزاء في الدنيا فمصيرهم إلى التعس والخذلان.

الدلالات النظمية والمقاصدية

هذا المقطع هو **حلقة الوصل** بين التكليف الشاق (القتال) والوعد بالجزاء (الجنة). فبعد أن أمر الله بالقتال، كان لا بد من تثبيت القلوب بوعد النصر. ثم يمهد المقطع لما سيأتي من مقارنة بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة؛ فقوله: ﴿وَالْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ يفتح الباب لبيان أن ما هم فيه من متاع الدنيا لا يُغني عنهم شيئًا.

المقطع الرابع: مقارنة بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

بعد أن وعد الله المؤمنين بالنصر، انتقل إلى بيان الفرق بين الفريقين في الآخرة. فالمؤمنون في جنات تجري من تحتها الأنهار، والكافرون ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾. وفي تشبيههم بالأنعام دلالة على أن حياتهم ليست إلا أكلًا وشربًا واستمتاعًا، لا غاية لها ولا مسؤولية. ثم قال: ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي مأواهم ومقامهم.

ثم قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾. والخطاب للنبي ﷺ، و«قريتك» هي مكة التي أخرجته. والمعنى: كم من قرية كانت أشد قوة من مكة، أهلكها الله، فلم تجد ناصرًا. وفي هذا تسلية للنبي ﷺ وتثبيت له، وتهديد لمكة بأن مصيرها كمصير من قبلها.

ثم قال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾. والاستفهام للإنكار، أي: لا يستوي من كان على بينة من ربه، ومن زُيّن له سوء عمله واتبع هواه. وفي هذا بيان أن الفارق بين الفريقين ليس مجرد اختلاف في الرأي، بل هو فارق بين **بينة وهوى**.

ثم وصف الله الجنة وصفًا تفصيليًّا: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أي غير متغير ولا آسن. ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ أي لا يحمض. ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ أي لا تُذهب العقل ولا تُصدع. ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ أي خالص لا شمع فيه. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾. ثم قال: ﴿كَمَنْ هُوَ

خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾. والاستفهام للإنكار أيضًا، أي: لا يستوي من هو في هذا النعيم بمن هو خالد في النار يُسقى ماءً حميمًا يقطّع أمعاءه.

التحليل البلاغي

في قوله: ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ تشبيه بليغ فيه تحقير لشأنهم، فالأنعام تأكل وتشرب ولا تعقل غاية ولا مسؤولية. وفي هذا إشارة إلى أن من أنكر البعث والجزاء فقد نزل إلى مستوى البهيمة، لأن ما يميز الإنسان هو إدراكه للمسؤولية والمصير.

وفي وصف أنهار الجنة، جاء التوكيد بـ«غير آسن» و«لم يتغير طعمه» و«لذة للشاربين» و«مصفى»، لأن هذه الأشياء في الدنيا معرضة للفساد والتغير. فبيّن الله أن أنهار الجنة **ثابتة على حالها** لا تفسد ولا تتغير. وهذا من أبلغ الوصف.

وفي المقابلة بين ﴿مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ في الجنة و﴿مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ في النار، طباق عجيب. فالماء في الجنة حياة وطهر، والماء في النار عذاب وتقطيع. وفي هذا إشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل: من شرب في الدنيا على هواه، سُقي في الآخرة حميمًا.

التفسير بالمأثور

لم يرد في هذا المقطع حديث صحيح مخصص، وإنما هي آيات واضحة الدلالة في وصف الجنة والنار. وقد ذكر ابن عطية أن في قوله: ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ إشارة إلى مكة، وأن الآية نزلت في وقت خروج النبي ﷺ منها .وهذا مما يؤكد مدنية السورة، لأن الخطاب فيها يخاطب النبي ﷺ بعد الهجرة.

الدلالات النفسية والتربوية

في هذا المقطع تربية للنفس على **عدم الاغترار بمتاع الدنيا** .فالكافرون يتمتعون ويأكلون، لكن مصيرهم النار. والمؤمنون قد يضيق عليهم في الدنيا، لكن مصيرهم الجنات. وفي وصف أنهار الجنة تفصيلًا محسوسًا ما يُقوي اليقين بالآخرة، ويجعل القلب متعلقًا بها لا بالدنيا. وفي قوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ استفهام تقريري يضع السامع أمام المفارقة الكبرى: هل يستوي هذا وذاك؟

الدلالات النظمية والمقاصدية

هذا المقطع يمثل **البعد الأخروي** للمقصد العام. فالسورة لا تكتفي ببيان النصر والخذلان في الدنيا، بل تمتد إلى الآخرة حيث يتجلى الفرق كاملًا. وفي ذكر «قريتك التي أخرجتك» تذكير للنبي ﷺ والمؤمنين بأن ما أصابهم من أذى قريش ليس بدعًا، فقد أهلك الله قرى أشد قوة منها. وهذا يُهيئ النفس لقبول ما سيأتي من كشف المنافقين؛ فمن كان على بينة من ربه لا يستوي مع من اتبع هواه.

المقطع الخامس: كشف المنافقين ومواقفهم من الوحي والجهاد

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾

المعنى والسياق: الانتقال من العدو الخارجي إلى العدو الداخلي

بعد أن استكملت السورة الحديث عن الكافرين المجاهرين، والجنة والنار، انتقلت إلى طبقة ثالثة كانت تعيش داخل المجتمع المسلم في المدينة، تُبطن الكفر وتُظهر الإسلام. وهذه الطبقة هي **المنافقون**، الذين كانوا في المدينة «خطراً حقيقيًّا على الإسلام والمسلمين «، وكان وجودهم مرتبطًا بظهور الإسلام وعزّته؛ إذ لم يكن للنفاق وجود في مكة أيام الاستضعاف، فلما أعز الله المسلمين في المدينة، اضطر من كره الإسلام أن يتظاهر به على كره .

وقد قدّم ابن عاشور لهذا المقطع بملاحظة منهجية دقيقة، فقال إن السورة «لما جرى في هذه السورة وصف حال المنافقين أعقب ذلك بوصف أجلى مظاهر نفاقهم، وذلك حين يُدعَى المسلمون إلى الجهاد»، فإن تظاهرهم بالإسلام «سيلجئهم إلى الخروج للقتال مع المسلمين، وذلك أمر ليس بالهيّن . «فالجهاد هو الكاشف الأكبر للنفاق، لأنه يضع المنافق أمام تكليف باهظ الثمن لا يمكنه التخلص منه إلا بكشف حقيقته أو التخاذل الواضح.

الآية ١٦: الاستماع الذي لا يُثمر علمًا

يقول تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾. والآية تصور حالًا من أحوال المنافقين في مجلس النبي ﷺ: يحضرون، ويستمعون بآذانهم، لكن قلوبهم غائبة. فإذا خرجوا من المجلس سألوا المؤمنين: ماذا قال النبي ﷺ الآن؟ و«آنِفًا» معناه قريبًا، أي ماذا قال في الوقت القريب.

والسؤال في ظاهره استفهام عن القول، لكنه في حقيقته **دليل على عدم الفهم والاستفادة** . فهم لم يستمعوا ليتبعوا، بل ليتمكنوا من حمل الكلام إلى غيرهم أو التشكيك فيه. قال تعالى في وصفهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾. والطبع على القلب هو ختمه وتغطيته بحيث لا يصل إليه نور الهدى. والسبب في ذلك: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾؛ فلم يكن في قلوبهم مانع من الهوى، فاستحقوا الطبع.

ثم قابل الله بينهم وبين المهتدين: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾. وهذه المقابلة هي **مفتاح المقطع كله** .فثمّة فريقان يسمعان القرآن: فريق يطبع على قلبه لأنه اتبع هواه، وفريق يزداد هدى لأن الله آتاه تقواه. والفرق ليس في الصوت المسموع، بل في **القلب المستمع**.

وقد ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية أن الله «وفقهم للهداية فهداهم إليها، وثبتهم عليها وزادهم منها، وألهمهم رشدهم . «وفي هذا إشارة إلى أن الهداية عطاء إلهي يُمنح لمن صدق في طلبه، لا مجرد نتيجة طبيعية للاستماع.

الآيات ١٨-١٩: الساعة والاستعداد لها

ثم قال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾. والخطاب في الظاهر للمنافقين، والمعنى: هل ينتظر هؤلاء المطبعون على قلوبهم إلا الساعة أن تأتيهم بغتة؟ وقد جاءت أشراطها، أي علاماتها. وأشراط الساعة هنا تشمل **بعثة النبي ﷺ** نفسها، كما في الحديث الذي رواه البخاري: «بُعثتُ أنا والساعة كهاتين . «فمجيء النبي ﷺ هو أعظم أشراط الساعة.

ثم قال: ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾. أي: من أين لهم التذكر والاتعاظ إذا جاءتهم الساعة؟ فالتذكر حينئذ لا ينفع، لأن الوقت وقت جزاء لا وقت عمل.

ثم جاء التوجيه للنبي ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾. وفي هذا انتقال من وصف حال المنافقين إلى **تثبيت النبي ﷺ** وتوجيهه إلى ما يعصمه من أثر مواقفهم: العلم بالتوحيد والاستغفار. والاستغفار للمؤمنين والمؤمنات فيه إشارة إلى أن النبي ﷺ راعٍ لأمته، يستغفر لهم كما يستغفر لنفسه. ثم ختم: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾، أي يعلم تحركاتكم في الدنيا ومقركم في الآخرة، فلا يخفى عليه منكم شيء.

الآيات ٢٠-٢١: تمني المؤمنين للقتال وثاقل المنافقين

هذه الآيات هي **قلب المقطع** .يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾. أي: يتمنى المؤمنون أن تُنزَّل سورة تأمر بالقتال، شوقًا إلى ما أعد الله للمجاهدين. وقد ذكر ابن عاشور أن هذا التمني كان **سببًا في نزول** آيات القتال في هذه السورة .

ثم قال: ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾. و«السورة المحكمة» هي التي لا نسخ فيها ولا احتمال، بل صريحة في وجوب القتال. و«الذين في قلوبهم مرض» هم المنافقون، وصفهم الله بالمرض لأن كفرهم مستتر لا يظهر، كالمرض الذي يكون في الباطن. ونظرهم إلى النبي ﷺ «نظر المغشي عليه من الموت» تصوير بليغ لحالة الخوف والرهبة التي تعتريهم عند سماع الأمر بالقتال؛ فهم كالمحتضر الذي يغشى عليه من شدة الموت.

ثم قال: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾. أي: الأولى لهم أن يطيعوا ويقولوا قولًا معروفًا، بدلًا من هذا التثاقل. ثم قال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾. أي: فإذا وجب القتال وحان الوقت، لو صدقوا الله في إيمانهم لكان خيرًا لهم من هذا التثاقل والنفاق.

الآيات ٢٢-٢٤: الإفساد وقطع الأرحام وطبع القلوب

ثم قال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾. والخطاب للمنافقين، والمعنى: إن توليتم عن الإيمان والطاعة، فما نتوقعونه من أنفسكم إلا الإفساد في

الأرض وقطع الأرحام. وقد ذكر أهل التفسير أن هذا **إخبار عن حالهم الواقعية**؛ فالمنافقون كانوا أهل فساد وتقطيع أرحام، كما فعل عبد الله بن أبيّ وأمثاله .

ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾. أي أبعدهم عن رحمته، فلم يسمعوا الحق سماعًا ينفعهم، ولم يبصروا الهدى. ثم قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. وهذه الآية **تضع التشخيص النهائي** :العلة ليست في القرآن، بل في القلوب المغلقة. فلو تدبروا القرآن لوجدوا فيه الهدى، لكن قلوبهم مقفلة لا يدخلها النور.

الآيات ٢٥-٢٨: الارتداد والإسرار ومصير المنافقين

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾. والارتداد على الأدبار هو الرجوع القهقرى، أي النكوص عن الإيمان بعد وضوحه. و«سوّل لهم» أي زيّن لهم الشيطان أعمالهم، و«أملى لهم» أي مدّ لهم في الأجل والغرور، أو أملى لهم في الأماني.

ثم بيّن سبب ذلك: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾. وهذه الآية تكشف **التحالف الخفي** بين المنافقين والكافرين أو اليهود. فقد قالوا لمن كره ما نزل الله: سنطيعكم في بعض الأمر. أي وعدوهم بالتعاون في بعض ما يضر المسلمين. ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ أي ما يخفون من هذه المواعيد والتحالفات.

ثم ختم المقطع بصورة من مصيرهم: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾. أي: كيف يكون حالهم حين تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم؟ ثم علل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾. فالمصير هنا من جنس العمل: اتبعوا ما أسخط الله، فكان جزاؤهم الضرب على الوجوه والأدبار.

التحليل اللغوي والبلاغي

في قوله: ﴿مَاذَا قَالَ آنِفًا﴾ دلالة لغوية دقيقة. فـ«آنِفًا» من «أنف الشيء» أي أوله أو قريبه. وسؤالهم بهذه الصيغة يُصور **عدم المبالاة** بما سمعوا؛ فكأنهم لم يعيروه اهتمامًا كافيًا لتذكره. وفي هذا من الذم ما لا يخفى.

وفي قوله: ﴿نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ تشبيه بليغ. فالمغشي عليه من الموت هو الذي يغلب عليه الغشي عند مفارقة الروح، فتكون نظراته شاردة ذاهلة. وهذا تصوير لحالة المنافق عند سماع الأمر بالقتال :**نظرة خوف وهلع لا نظرة إيمان واستعداد.**

وفي قوله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ استعارة عجيبة. فالقفل يمنع فتح الباب، والقلب المقفَل يمنع دخول الهدى. وفي إضافة «أقفال» إلى «قلوب» بالتنكير والإضافة ما يفيد أن القفل **ملازم** لها، ليس عارضًا يزول. وقد قرأ بعض القراء «أقفالُها» بضم اللام على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي «أم على قلوبٍ أقفالُها هي. «

التحرير العقدي

في هذا المقطع تقرير لعقيدة **الطبع على القلوب** وأنه عقوبة إلهية لمن اتبع هواه. فالآية تقول: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد أن ذكر أنهم ﴿اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾. فالطبع نتيجة للاتباع، لا سببًا له. وهذا يرد على من يفهم الطبع على أنه جبر يمنع الإنسان من الإيمان ابتداءً. وفي الآية الأخرى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ إشارة إلى أن **التدبر ممكن** لو أرادوا، لكنهم أغلقوا على أنفسهم باب التدبر.

الدلالات النفسية والتربوية

في وصف المنافقين بنظر «المغشي عليه من الموت» تربية للمؤمن على **مراقبة قلبه** عند سماع التكاليف الشاقة. فليس العبرة بالحضور في مجلس العلم، بل بما يحدث في القلب بعده. والمنافق حضر مجلس النبي ﷺ واستمع، لكنه خرج ولم يتغير فيه شيء. والمؤمن يسمع فيزداد هدى. وفي قوله: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ قاعدة تربوية :**الصدق مع الله** هو المخرج من كل ثقل وخوف. فلو صدقوا في إيمانهم لما ثقل عليهم القتال.

الدلالات النظمية والمقاصدية

هذا المقطع هو **الوجه الآخر للمقصد العام** .فالسورة لم تكتف بمواجهة الكفر الظاهر، بل كشفت الزيف المستتر. ووظيفة المقطع في البناء الكلي أنه **يُبرز خطورة العدو الداخلي** .فبعد أن أمر الله المؤمنين بقتال الكافرين في المقطع الثاني، بين أن العدو الأخطر قد يكون في الصف نفسه. ولذلك طال هذا المقطع، وتنوعت صور الكشف فيه: الاستماع بلا فهم،

والتثاقل عن القتال، والإفساد وقطع الأرحام، والإسرار بالطاعة للكافرين. وكل ذلك يُهيئ المؤمن ليكون **صافي القلب** مع الله، لا يحمل في صدره شيئًا من النفاق.

المقطع السادس: سنة الابتلاء والتمحيص

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾

المعنى والسياق: الانتقال من الكشف إلى التمحيص

بعد أن كشف المقطع السابق مواقف المنافقين وذكر تحالفهم الخفي ومصيرهم، انتقل السياق هنا إلى تقرير حقيقة أخرى: أن هؤلاء المنافقين يحسبون أن الله لن يُظهر ما في صدورهم من أحقاد. والآية تبدأ بـ﴿أَمْ﴾ المنقطعة التي بمعنى «بل»، والاستفهام فيها للإنكار، أي: بل أيحسب هؤلاء أن الله لن يُخرج أضغانهم؟ والأضغان جمع «ضِغن» وهو الحقد والعداوة الباطنة .وقد وصفهم الله بأن «في قلوبهم مرضًا»، وهو استعارة للكفر والنفاق؛ لأن المرض يُفسد البدن كما يُفسد الكفر القلب، ولأنه مستور كالمرض الخفي .

ثم قال: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾. أي: لو شاء الله لأظهرهم للنبي ﷺ بعينه فعرفهم بعلاماتهم. ولكن الحكمة اقتضت أن لا يجري الكشف على هذا الوجه، بل جعل الله طريق المعرفة عن طريق آخر: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾. و«لحن القول» هو الأسلوب الملتوي والمعنى المستتر وراء الكلام. فالكلمات قد تكون مستقيمة في ظاهرها، لكن نبرتها وطريقة أدائها وما تتضمنه من تلميح تكشف ما في القلب.

ثم ختم المقطع بالآية المحورية: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾. وهذه الآية هي **تفسير إلهي لكل ما يجري في السورة** .فالجهاد والقتال والابتلاء ليس عبثًا، بل هو سنة إلهية لتمييز من يجاهد ويصبر ممن يتخاذل. وقد حرر ابن عاشور أن «حتى» هنا بمعنى لام التعليل، أي: لنبلونكم لنعلم المجاهدين منكم والصابرين، وليس المراد انتهاء البلوى عند ظهورهم .و«العلم» هنا كناية عن **إظهار المعلوم للناس**، لأن الله يعلم من سيجاهد ومن سيتخاذل قبل وقوع ذلك، لكن الابتلاء يُظهر هذا العلم في عالم الشهادة .

التحليل اللغوي والبلاغي

في قوله: ﴿أَضْغَانَهُمْ﴾ جمع قلة يُراد به الكثرة، وهو أدل على شدة الحقد من «أحقادهم»؛ لأن «الضغن» أخص من الحقد، فهو الحقد الملازم الذي لا ينفك. وفي إخراج الأضغان استعارة؛ فالأضغان في القلب كالماء في الوعاء، إذا ضاق الوعاء فاض.

وفي قوله: ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ بلاغة في وصف كشف المنافق. فاللحن في الأصل الميل عن الصواب، فكأن كلامهم يميل عن الاستقامة، وفي هذا الميل يظهر ما في القلب. والآية لا تقول «في كلامهم» بل «في لحن القول»، إشارة إلى أن **طريقة القول** لا مضمونه هي التي تفضح.

وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ مع أن الله يعلم كل شيء، دلالة على أن العلم هنا بمعنى **إظهار المعلوم وإقامة الحجة** .فالله لا يبتلي ليعلم ما لا يعلمه، بل ليُظهر للناس ما يعلمه فيهم، فتقوم عليهم الحجة، ويتميز الصف.

التحرير العقدي

في هذا المقطع تقرير لعقيدة أن **الله مُطَّلِع على السرائر**، وأن ما يُخفيه المنافقون غير خاف عليه. وفي قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ دلالة على أن كشف المنافقين للنبي ﷺ كان ممكنًا بمشيئة الله، لكن الحكمة اقتضت أن يكون الكشف بالقرائن والعلامات، لحكمة منها: أن يبقى باب التوبة مفتوحًا، وأن يُبتلى المؤمنون بالصبر على وجود المنافقين بينهم.

الدلالات النفسية والتربوية

في قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ تربية على أن **الابتلاء هو الميزان** .فمن ادعى الإيمان ثم لم يصبر على الجهاد، فقد كشف ابتلاؤه حقيقة إيمانه. وفي هذا تسلية للمؤمنين: ما تمرون به من ضيق وشدة ليس عقوبة، بل تمحيص.

المقطع السابع: الإنفاق والبخل وخاتمة السورة

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾

المعنى والسياق: خاتمة السورة وميزانها العملي

تختم السورة بمقطع يعود إلى بدايتها في مواجهة الكافرين، ثم يتجه إلى المؤمنين بخطاب مباشر في الطاعة والإنفاق. يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾. وهذه الآية تُعيد تقرير ما بدأت به السورة: أن الكافرين الذين صدّوا عن سبيل الله، وأضافوا إلى ذلك **مشاقة الرسول** بعد وضوح الهدى، لن يضروا الله شيئًا. وفي هذا تطمين للمؤمنين: عداؤهم لا ينقص من ملك الله شيئًا. ثم قال: ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾، وهو تكرار لما سبق في أول السورة، لكن هنا بعد ذكر المشاقة، لأن المشاقة أعظم من مجرد الصد.

ثم انتقل إلى المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾. والنهي عن إبطال الأعمال هنا يشمل كل ما يُفسد العمل: الرياء، والعجب، والتخاذل عن الجهاد، والبخل بالمال. فالطاعة لا تُجزأ؛ من أطاع في بعض وأبطل في بعض، فقد عرض عمله للإحباط.

ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾. وهذه الآية تقرر أن **الموت على الكفر** هو الحد الفاصل؛ فمن مات كافرًا فقد أُغلق عليه باب المغفرة. وفي هذا تحذير شديد من الاستمرار في الكفر والنفاق إلى الموت.

ثم قال: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾. والوهن هو الضعف، والدعوة إلى السلم هنا مذمومة لأنها تكون عن ضعف لا عن قوة. وقوله: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ أي الغالبون بإيمانكم. ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ أي لن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئًا.

ثم انتقل إلى حقيقة الدنيا: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾. وهذه الآية تضع المال في سياقه الصحيح: ليس غاية، بل وسيلة. ثم قال: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾. أي: الله لا يطلب منكم أموالكم كلها، بل يطلب منكم الإنفاق في سبيله، وهو غني عن أموالكم.

ثم بيّن حكمة أخرى: ﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾. أي: لو سألكم الله أموالكم كلها وألحّ في الطلب، لبخلتم، وأخرج البخل ما في قلوبكم من الأضغان. وفي هذا بيان أن **البخل يكشف ما في القلب** كما يكشف النفاق. ثم ختم السورة بالخطاب الجامع: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾. والاستفهام في «ها أنتم» للتعجب من حالهم. ثم قال: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾؛ لأن البخل يمنعه ثواب الله، لا يمنع الله شيئًا. ثم قال: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾، وهذه هي **المعادلة الإلهية** التي تحسم كل تردد في الإنفاق: الله غني عنكم وعن أموالكم، وأنتم الفقراء إليه في كل حال. ثم ختم السورة بالتهديد: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾. أي: إن توليتم عن الطاعة والإنفاق، أتى الله بقوم غيركم يقومون بما طُلب منكم، ولا يكونون أمثالكم في التخاذل والبخل.

التحليل البلاغي

في قوله: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ استعارة من «وتر» بمعنى نقص. فكأن الأعمال حق من الحقوق، والله يضمن ألا ينقص منه شيء. وفي هذا طمأنة للمؤمنين الذين يبذلون أموالهم وأنفسهم.

وفي قوله: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ طباق تام بين الغنى المطلق والفقر المطلق. وفي هذا إبطال لكل حجة للبخل؛ فمن كان غنيًّا عنك لا يحتاج إلى مالك، وأنت الفقير إليه لا تستغني عن عطائه.

وفي قوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ تذييل بديع؛ فالله لا يستبدل قومًا مثلكم، بل قومًا أفضل منكم. وفي هذا من التحريض ما لا يخفى.

الدلالات النظمية والمقاصدية: خاتمة تعود إلى المطلع

خاتمة السورة تعود إلى مطلعها في أكثر من وجه. فالمطلع قال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، والخاتمة تقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ... وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾. والمطلع قابل بين المؤمنين الذين كفّر الله سيئاتهم، والخاتمة تدعو المؤمنين إلى الإنفاق وعدم البخل. فالسورة **تفتتح بالإيمان وتختم بالبذل**، وكأنها تقول: الإيمان الذي لا يثمر بذلًا هو إيمان ناقص. وفي المطلع قال: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وفي الخاتمة قال: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾. وفي المطلع قال: ﴿وَالْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾، وفي الخاتمة قال: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾. فهي دائرة مغلقة: من بدأ السورة بمعرفة أن الله مولاه، انتهى إلى معرفة أنه غني عنه وعن ماله، وأنه هو الفقير إلى الله.

الوحدة الموضوعية والنظم في السورة

بعد استكمال التفسير التفصيلي، يظهر أن سورة محمد ﷺ بناء متكامل ينتظم على محور واحد : **تمييز الصادق من الكاذب في ساحة الصراع بين الإيمان والكفر** .وهذا المحور ليس عنوانًا عامًّا، بل هو الخيط الذي يربط كل مقطع بغيره.

تفتتح السورة بمقابلة صريحة بين الكافرين الذين أضل الله أعمالهم، والمؤمنين الذين كفّر سيئاتهم وأصلح بالهم. هذه المقابلة تُقرر **الميزان الإلهي** قبل أن تُذكر أي تكاليف. ثم ينتقل السياق إلى التكليف: القتال. وهنا تظهر حكمة الترتيب؛ فلو بدأت السورة بالأمر بالقتال مباشرة، لكانت تكليفًا بلا تأسيس. لكنها أسست أولًا أن الله هو الفاعل الحقيقي في الصراع، ثم أمرت المؤمنين بأن يكونوا أدوات تنفيذ حكمه.

ثم تأتي آيات التثبيت: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾. وهذه حلقة ضرورية بين التكليف الشاق والجزاء الأخروي. فالمؤمن يحتاج في ساحة القتال إلى وعد قريب بالنصر، قبل أن يُذكّر بجنة بعيدة. ثم تُعرض المقارنة الحسية بين الجنة والنار، لتُعمّق البعد الأخروي وتجعل الجهاد ليس مجرد معركة دنيوية.

ثم ينتقل السياق إلى العدو الداخلي: المنافقين. وهنا يطول النفس القرآني في كشفهم. وهذا الطول له وظيفة: أن يُفهم المؤمن أن خطر المنافق أخطر من خطر الكافر المجاهر، لأن المنافق يضرب من الداخل. ثم تُعلن سنة الابتلاء: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾، وكأن هذه الآية هي **جواب على كل ما سبق** :ما يجري من قتال وكشف للمنافقين هو ابتلاء لتمييز الصفوف.

ثم تختم السورة بالإنفاق. والإنفاق هنا ليس موضوعًا منفصلًا، بل هو **البرهان العملي** على صدق الإيمان، كما أن الجهاد برهان عملي آخر. فمن لم يبذل ماله، فقد كشف بخلُه عن ضعف يقينه، كما كشف المنافق ثاقلُه عن القتال عن كفره الباطن.

ومن أوجه النظم في السورة :**التقابل بين المطلع والخاتمة** .المطلع يتحدث عن الكافرين الذين أضل الله أعمالهم، والخاتمة تتحدث عن الذين كفروا وصدّوا وشاقّوا الرسول ثم ماتوا كفارًا فلن يغفر الله لهم. المطلع يتحدث عن المؤمنين الذين أصلح الله بالهم، والخاتمة تدعو المؤمنين

إلى الإنفاق وعدم البخل. فالسورة تبدأ بالقول: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وتنتهي بالقول: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾. وهي في الحالتين تطمئن المؤمن بأن الله معه، وتطالبه في المقابل بأن يكون مع الله.

أما **الفواصل** في السورة، فهي غالبًا ما تنتهي بحروف مطلقة أو ألفاظ ذات وقع قوي: ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾، ﴿بَالَهُمْ﴾، ﴿أَقْدَامَكُمْ﴾، ﴿أَمْثَالُهَا﴾، ﴿أَمْعَاءَهُمْ﴾. وهذا الإيقاع القوي يناسب جو السورة الحاسم، الذي لا يحتمل التردد.

المقاصد والهدايات الكلية للسورة

أ. المقاصد الكبرى

المقصد الأول: تقرير أن الله هو الفاعل الحقيقي في صراع الحق والباطل .من أول السورة ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ إلى آخرها ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾، السورة تُعيد كل شيء إلى الله. النصر منه، والخذلان منه، والإضلال منه، والإصلاح منه. وليس هذا لتجريد المؤمن من المسؤولية، بل لتحريره من الغرور بالقوة الذاتية. فالمؤمن يقاتل وهو يعلم أن النصر ليس بيده، وينفق وهو يعلم أن الله غني عنه.

المقصد الثاني: بيان أن الجهاد محكّ يكشف حقيقة الإيمان .السورة لا تتعامل مع الجهاد كحدث عسكري فقط، بل كـ**ميزان** .من أثقلته التكاليف فقد كشف ابتلاؤه عن مرض قلبه. ومن صبر وجاهد فقد ظهر صدقه. وهذا المقصد يفسر لماذا طال الحديث عن المنافقين في السورة؛ لأن الجهاد هو الذي أخرج ما في قلوبهم.

المقصد الثالث: كشف النفاق وفضح أهله .السورة لا تكتفي بمواجهة الكفر الظاهر، بل تُصرّ على أن العدو الداخلي لا يقل خطرًا. والكشف هنا ليس انتقامًا، بل **تمحيصًا** للمؤمنين ليحذروا، وللمنافقين ليعلنوا توبتهم قبل أن يُفضحوا في الآخرة.

المقصد الرابع: تربية المؤمن على البذل .الإنفاق في خاتمة السورة ليس تكليفًا عارضًا، بل هو ثمرة كل ما سبق. من عرف أن الله مولاه، وأن الآخرة خير وأبقى، وأن الله غني وهو فقير، بذل. ومن بخل، فقد كشف أن معرفته لم تصل إلى قلبه.

ب. الهدايات التربوية الكلية

الهداية الأولى: أن الجزاء من جنس العمل .﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾. هذه القاعدة تتكرر في السورة بصور مختلفة. فمن نصر الله نصره، ومن بخل بخل على نفسه، ومن أعرض استُبدل به.

الهداية الثانية: أن الابتلاء ليس شرًّا محضًا .﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾. ما يمر به المؤمن من ضيق وشدة ليس عقوبة، بل تمحيص. وفي هذا تربية على الصبر وعدم الاستعجال.

الهداية الثالثة: أن الدنيا ليست غاية .﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾. هذه الهداية تظهر في سياق الإنفاق، لأن البخل ينبع من توهّم أن المال غاية. ومن فهم أن الدنيا لعب ولهو، سهل عليه البذل.

الهداية الرابعة: أن النفاق مرض قابل للكشف .﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾. المؤمن لا يُخدع بظاهر الكلام، بل ينظر إلى لحن القول وما وراءه. وفي هذا تربية على الفطنة والبصيرة.

الهداية الخامسة: أن الصدق مع الله هو المخرج .﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾. كل ما سبق من ثاقل ونفاق وبخل، سببه فقدان الصدق مع الله. ومن صدق مع الله، صدق في القتال والإنفاق والطاعة.

ج. التنزيل المعاصر

هذه السورة تُخاطب أمة تعيش اليوم في سياق مختلف عن سياق نزولها، لكن مبادئها باقية. فالمسلمون اليوم يواجهون صراعًا مركبًا: عداء خارجي، وتخذلًا داخليًّا، وبخلًا بالمال والنفس. وسورة محمد ﷺ تقول لهم :**الميزان لم يتغير** .من نصر الله نصره الله، ومن تخاذل استُبدل به. والابتلاء الذي تمرون به ليس إلا تمحيصًا. والمنافقون الذين يتحدثون بلغة الإيمان وهم يثبطون عن الجهاد والبذل، سيكشفهم الله في لحن القول. والمال الذي تبخلون به ليس ملكًا لكم، بل هو عطاء من الله غني عنكم.

لكن التنزيل المعاصر لا يعني إسقاط آيات القتال على كل صراع سياسي، ولا تحويل السورة إلى برنامج حزبي. المعنى الأصلي هو ما دلت عليه الآيات في سياقها. والهداية المعاصرة هي **روح السورة** :الصدق مع الله، وعدم التخاذل عن تكاليف الإيمان، والبذل في سبيله، واليقين بأن النصر منه.

الخاتمة التفسيرية الجامعة

سورة محمد ﷺ سورة حاسمة، لا تعرف المنطقة الرمادية. تفتتح بمقابلة بين فريقين لا ثالث لهما: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، والذين آمنوا وعملوا الصالحات. وتُعلن النتيجة قبل أن تُذكر التفاصيل: أولئك أضل الله أعمالهم، وهؤلاء كفّر سيئاتهم وأصلح بالهم. ثم تنتقل من التقرير إلى التكليف: قاتلوا. ولكنها لا تترك المقاتل في ساحة المعركة بلا سند، بل تُثبّته بوعد النصر، وتُذكّره بالجنة، وتُحذّره من المنافقين الذين يخذلون من الداخل، ثم تُعلن أن كل ما يجري هو ابتلاء لتمييز الصفوف. وتختم بالإنفاق، لتقول: من لم يبذل ماله، فليعلم أن الله غني عنه، وأنه هو الفقير، وأن التولي عن الطاعة لن يُعجز الله، بل سيستبدل به قومًا ليسوا أمثاله.

وقد اتصل مطلع السورة بخاتمتها اتصالًا محكمًا: بدأت بـ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾، وانتهت بـ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ... فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾. وبدأت بـ﴿وَاللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وانتهت بـ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾. فالسورة دائرة كاملة: من ولاية الله إلى معية الله، ومن إضلال أعمال الكافرين إلى عدم مغفرة من مات منهم كافرًا.

وأهم نتائجها العقدية: أن الأعمال لا تُقبل إلا مع الإيمان، وأن الله هو الفاعل في الصراع، وأن النفاق مرض يُكشف، وأن الموت على الكفر يُغلق باب المغفرة. ونتائجها التربوية: أن الابتلاء سنة، وأن الصدق مع الله مخرج، وأن الدنيا لعب ولهو. ونتائجها التشريعية: مشروعية القتال وأحكام الأسرى، ووجوب الطاعة، والإنفاق في سبيل الله. ونتائجها المقاصدية: أن الأمة التي تتخاذل عن الجهاد والبذل معرضة للاستبدال، وأن الله لا يُعجزه شيء.

رسالة السورة في جملة واحدة :**من كان مع الله نصره الله وثبّته وأصلح باله وأدخله جنته، ومن كان على الباطل أضل الله عمله وأحبطه وخذله ولو كان يملك نفس القوة التي أخرجت رسول الله ﷺ، فالله غني عن العالمين.**

المراجع الأساسية المعتمدة

١. ابن عاشور، محمد الطاهر .**التحرير والتنوير** .الدار التونسية للنشر، تونس. (الجزء ٢٦، تفسير سورة محمد) .

٢. ابن كثير، إسماعيل بن عمر .**تفسير القرآن العظيم** .دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض. (تفسير سورة محمد) .

٣. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر .**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** .مؤسسة الرسالة، بيروت. (تفسير سورة محمد) .

٤. قطب، سيد .**في ظلال القرآن** .دار الشروق، القاهرة. (الجزء ٦، تفسير سورة محمد) .

٥. الطبري، محمد بن جرير .**جامع البيان عن تأويل آي القرآن** .دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة. (تفسير سورة محمد) .

في هذا الكتاب

ستجد هذا الكتاب وقفة تدبرية مع **سورة محمد** ﷺ، يعرضها في أربعة أقسام: التعريف بالسورة ومقصدها ومحاورها، ثم مناسبتها لما قبلها وما بعدها، ثم مقصدها العام ومحاورها الكبرى، ثم تفسيرها التفصيلي مقطعًا مقطعًا مع المعنى والسياق والتحليل اللغوي والبلاغي والدلالات العقدية والتربوية.

ويقوم الكتاب على فكرة مركزية: أن السورة **ميزان يكشف حقيقة الإيمان من دعوى النفاق**، وأن الجهاد والإنفاق برهانان على صدق الدعوى، وأن النصر من الله وحده، وأن الابتلاء سنة لتمييز الصفوف.

فمن قرأه خرج بخلاصة واحدة :**من كان مع الله نصره الله وأصلح باله، ومن كان على الباطل خاب سعيه وضل عمله.**